اشارات الاعجاز فى مظان الايجاز

مؤلفه

بديع الزمان
سعيد النورسى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

[٩]

كلمة ثناء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد فقد كان رائدنا العظيم الاستاذ المناضل العلامة [بديع الزمان سعيد النورسي] مذ ان انفتح امام عينيه افق شاسعة من دنيا العلم والعرفان وخاض عُباب الكتاب العزيز يتطلع دائما (كما كتبه الاستاذ في مقدمة تفسيره اشارات الاعجاز) الى انتهاض لجنة مؤلفة من كبار العلماء المتخصصين كل في ناحية من نواحي العلم، تقوم تلك اللجنة بدراسات طويلة في شتى نواحي الكتاب الكريم حتى يتحصل ويتولد من مجهوداتهم الكثيرة ودراساتهم الطويلة تفسير جامع للقرآن المبين يستجيب لحاجات القرن العشرين واستهم لديه ذلك التطلع والترقب الى بداية زمن الحرب العالمية الاولى فلما انفلقت قنبلة الحرب بين شعبنا التركي وبين الشعب الروسي ايس الاستاذ من تحقق ذلك الأمل بعض الإياس فاضطر أن يكتب ما يلوح له من اشارات اعجاز القرآن فاخذ يقيد ويصنف ويرتب ما يسنح له في شرح آي الذكر الحكيم فجاء منه هذا القسم من التفسير وهو رغم انه وليد فكر فرد واحد الا انه فريد في بابه لم ينسج للآن على منواله أي تفسير لانه يستجلي ويكشف الاعجاز المكنون في نظم الكتاب المجيد بطريقة عجيبة مخترعة لم نرها ولم نصادفها فيما عثرنا عليه من مشهور التفاسير المتداولة كتفسير «ابي السعود» «والفخر الرازي» و«البيضاوي» وتفسير الاستاذ المرحوم الشيخ

طنطاوى جوهرى الذى أفاض وأسهب فيه وبين كثيراً من العلوم
المختلفة التى تشير اليها الآيات الكونية وان كنت فى ريب مما نقول
فردد الطرف أولا فى تحليله المنوط بآية [ومن الناس من يقول
آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين] أو المنوط بآية [ختم الله
على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة الخ] او بآية [ومما
رزقناهم ينفقون] أو باى آية اخرى من الآيات المشروحة فى ذلك
التفسير وبعد ذلك طالع فى عين هاتيك الآيات السالفة الذكر
سائر التفاسير ثم ليتكلم ضميرك الحر المطلق من قيد التعصب.
فخلاصة القول ان فى عباراته عذوبة وحلاوة وطلاوة بديعة وتدقيقاً
خارقاً جداً فى تحليل آى الوحى المنزل. انه يبين جهة مناسبة الآيات
بعضها ببعض وتناسب الجمل وتناسقها وكيفية تجاوب هيآت
الجمل وحروفاتها حول المعنى المراد معتمداً فى ذلك على أدق قواعد
علم البلاغة وعلى أصول علمى النحو والصرف وقوانين المنطق وسائر
علم اصول الدين وسائر ماله علاقة بذلك من مختلف العلوم. حتى
انه ليبحث عن أخفى مناسبات البلاغة الذى لا يكشف عادة
بالمجهر المعنوى المركز فى الدماغ البشرى. وأعجب من الكل انه وجد
ذلك التدقيق البالغ والبحث العميق حينما كان ينصب ويتقاطر على المؤلف
من جهاته الاربع شآبيب رصاص بنادق الجيوش السوفيتية فكان
الاستاذ يناضل ويطلق بندقيته فى صدور الاعداء من جهة ويصنع فى مصنع
دماغه قنبلة اعجاز القرآن الذرية ليحطم بها بنيان الكفر والضلال من جهة
أخرى. فياسبحان الله من ذكاء الهى خارق مجهز ببطولة عجيبة وثبات قلب
زائد. ان ذلك الوقت العصيب والموقف الرهيب لم يدهش المؤلف ولم
يذهل فكره الثاقب عن الجولان فى مناحى اعجاز القرآن المبين.

وها نحن تلامذة رسائل النور يسرّنا أن نضع هذا الكتاب بين يدى
الانسانيين من البشر ليدرس دراسة مجردة عن الاغراض بعيدة
عن الاهواء والتعصب الذميم. ان فى ذالك لذكرى لمن كان له قلب
أو القى السمع وهو شهيد. والله اسئل أن ينفع به الناس ويهديهم
سواء السبيل. ذى الحجه/١٣٧٨ صهدر الدين يوكسل البدليسى

اعلم أني قد قمت بتحقيق التفسير المسمى بـ (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) للأستاذ بديع الزمان حينما قرأه على قبل خمس عشرة سنة تقريبا فئة من طلاب المعهد العالي للدراسات الإسلامية بمدينة استانبول. وكان منهجي في التحقيق هكذا: تصحيح الأخطاء المطبعية وضبط الكلمات المشكلة والتعليق على المواضع الغامضة ووضع رقم مشترك - في بعض المواضع - تحت الضمير وتحت مرجعه أو تحت أم الإشارة وتحت المشار إليه وغير ذلك مما يطول ذكره.

وكان كل ذلك لتسهيل ذلك الكتاب على القارئين الكرام وتفهيم الملك العزيز العلام.

والله أرجو أن يكون التحقيق خالصا لوجهه الكريم ونافعا لإخواننا القارئين آمين.

- صدر الدين يوكسل -

افادة المرام

اقول لما كان القرآن جامعا لاشتات العلوم و خطبة لعامة الطبقات فى كل الاعصار لا يحصل له تفسير لائق من فهم الفرد الذى قلما يخلص من التعصب لمسلكه و مشربه اذ فهمه يخصه ليس له دعوة الغير اليه الا ان يُعديَه قبولَ الجمهور . واستنباطه لا بالتشهى له العمل لنفسه فقط ولا يكون حجة على الغير الا ان يصدقه (نوع اجماع) فكما لابد لتنظيم الاحكام و اطرادها و رفع (الفوضى) الناشئة من حرية الفكر مع اهمال الاجماع وجود (هيئة عالية) من العلماء المحققين الذين بمظهريتهم لامنية العموم و اعتماد الجمهور يتقلدون كفالة ضِمْنية للامة فيصيرون مظهر سرحجية الاجماع الذى لا تصير نتيجة الاجتهاد شرعاً و دستوراً الا بتصديقه و سكته . كذلك لابد لكشف معان القرآن و جمع المحاسن المتفرقة فى التفاسير و تثبيت حقائقه المتجلية بكشف الفن و تمخيض الزمان من انتهاض هيئة عالية من العلماء المتخصصين المختلفين فى وجوه الاختصاص و لهم مع دقة نظر وُسْعة فكر لتفسيره — نتيجة المرام انه لابد ان يكون مفسر القرآن ذا دهاء عال و اجتهاد نافذ وولاية كاملة و ما هو الآن الا الشخص المعنوى المتولد من امتزاج الارواح و تساندها و تلاحق الافكار و تعاونها وتظافر القلوب واخلاصها وصميميتها من بين تلك الهيئة فيسر « للكل حكم ليس لكل » كثيرا مايرى آثار الاجتهاد و خاصة الولاية ونوره وضيائها من جماعة خلت منها افرادها ثم انى بينما كنت منتظرا و متوجها لهذا المقصد بتظاهر هيئة كذلك وقد كان هذا غاية خيالى من زمان مديد اذ سنح لقلبى من قبيل الحس قبل الوقوع تقرب [١] زلزلة عظيمة فشرعت مع عجزى وقصورى و الاغلاق فى كلامى فى تقييد ما سنح لى من اشارات اعجاز القرآن فى نظمه وبيان بعض حقائقه ولم يتيسر لى مراجعة التفاسير فان وآفقها فبها و نعمت و الا فالمهدة على فوقعت هذه الطامة الكبرى ففى اثناء اداء فريضة الجهاد كلما انتهزت فرصة فى خط الحرب قيدت ما لاح لى فى الاودية و الجبال بعبارات متفاوتة باختلاف الحالات . فمع احتياجها الى التصحيح و الاصلاح لا يرضى قلبى بتغييرها و تبديلها اذ ظهرت فى حالة من خلوص النية لاتوجد الآن فاعرضها لانظار اهل الكمال لا لانه تفسير للتنزيل بل ليصير لو ظَفِر بالقبول نوع مأخذ لبعض وجوه التفسير . وقد ساقنى شوقى الى ماهو فوق طوقى فان استحسنوه شجعونى على الدوام . و من الله التوفيق .

---

[١] و قداخبرنا مرارا فى اثناء الدرس بوقوع زلزلة عظيمة (بمعنا حرب عمومى) فوقعت كما أُخبر

حمزه محمد شفيق محمد مهرى

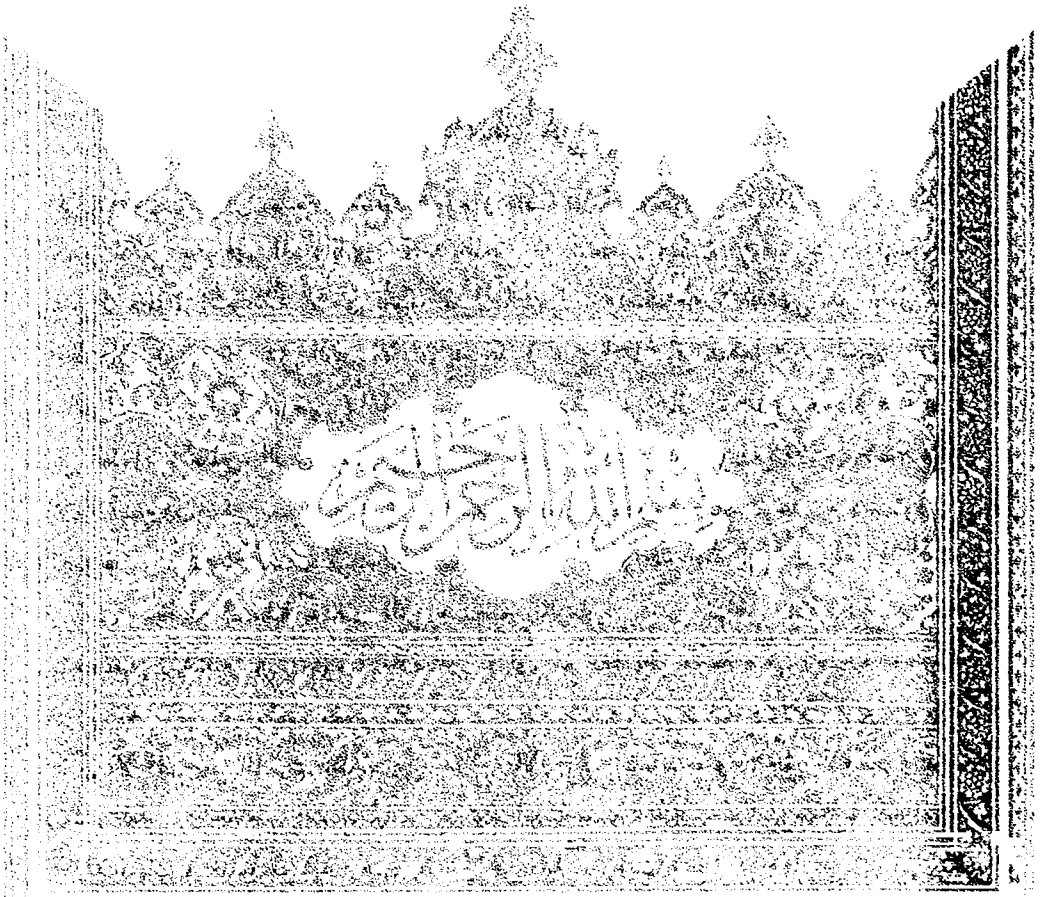

الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان فنحمده مصليا على نبيه محمد الذى ارسله رحمة للعالمين وجعل معجزته الكبرى الجامعة برموزها و اشاراتها لحقائق الكائنات باقية على مر الدهور الى يوم الدين و على آله عامة و اصحابه كافة

اما بعد فاعلم اولا ان مقصدنا من هذه الاشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن لان الاعجاز يتجلى من نظمه وما الاعجاز الزاهر الا نقش النظم * وثانيا ان المقاصد الاساسية من القرآن وعناصره الاصلية اربعة التوحيد والنبوة والحشر والعدالة لانه لما كان بنو آدم كركب وقافلة متسلسلة راحلة من اودية الماضى و بلاده سافرة فى صحراء الوجود و الحيات ذاهبة الى شواهق الاستقبال متوجهة الى جناته فتهتز بهم المناسبات وتتوجه اليهم الكائنات كأنه ارسلت حكومة الخلقة فن الحكمة مستنطقا و سائلا منهم بيا بنى آدم من اين الى اين ما تصنعون من سلطانكم من خطيبكم فبينا المحاورة اذ قام من بين بنى آدم كامثاله الاماثل من الرسل اولى العزائم سيد نوع البشر محمد الهاشمى صلى الله تعالى عليه وسلم و قال بلسان القرآن ايها الحكمة نحن معاشر الموجودات نجئ بارزين من ظلمات العدم بقدرة سلطان الازل الى ضياء الوجود ونحن معاشر بنى آدم بعثنا بصفة المأمورية ممتازين من بين اخواننا الموجودات بحمل الامانة ونحن على جناح السفر من طريق الحشر الى السعادة الابدية ونشتغل الآن بتدارك تلك السعادة وتنمية الاستعدادات

التى هى رأس مالنا * و انا سيدهم و خطيبهم فها دونكم منشورى و هو كلام ذلك السلطان الازلى يتلألأ عليه سكة الاعجاز — والمجيب عن هذه الاسئلة الجواب الصواب ليس الا القرآن ذلك الكتاب — كان [١] هذه الاربعة عناصره الاساسية فكما تترا آ هذه المقاصد الاربعة فى كله كذلك قد تجلى فى سورة سورة بل قد يلمح بها فى كلام كلام بل قدير من اليها فى كلة كلة لان كل جزء فجزء كالمرآة لكل فكل متصاعدا كما ان الكل يترا آ فى جزء فجزء متسلسلا ولهذه النكتة اعنى اشتراك الجزء مع الكل يعرّف القرآن المشخص كالكلى ذى الجزئيات ﴿ ان قلت ﴾ ارنى هذه المقاصد الاربعة فى بسم الله و فى الحمدلله ﴿ قلت ﴾ لما انزل بسم الله لتعليم العباد كان قل مقدرا فيه و هو الام فى تقدير الاقوال القرآنية فعلى هذا يكون فى قل اشارة الى الرسالة و فى بسم الله رمز الى الالوهية * و فى تقديم الباء تلويح الى التوحيد * و فى الرحمن تلميح الى نظام العدالة و الاحسان * و فى الرحيم ايماء الى الحشر وكذلك فى الحمد لله اشارة الى الالوهية و فى لام الاختصاص رمز الى التوحيد و فى رب العالمين ايماء الى العدالة و النبوة ايضا لان بالرسل تربية نوع البشر و فى مالك يوم الدين تصريح بالحشر حتى ان صدف انا اعطيناك الكوثر يتضمن هذه الجواهر هذا مثالا فانسج على منواله ﴿ بسم الله ﴾ كالشمس يضئ نفسه كغيره فاستغنى حتى ان بائه متعلقة بالفعل المفهوم من معناها اى استعين به او المفهوم عرفا اى اتيمن به او بما يستلزمه قل المقدر من اقرأ المؤخر للاخلاص والتوحيد

اما الاسم : فاعلم ان لله اسماء ذاتية و اسماء فعلية متنوعة كالغفار و الرزاق و المحى و المميت و امثالها و تنوعها و تكثرها بسبب تعدد نسبة القدرة الازلية الى انواع الكائنات فكأن بسم الله استنزال لتأثير و تعلق القدرة ليكون ذلك التعلق روحا ممدا لكسب العبد * الله لفظة الجلال نسخة جامعة لجميع الصفات الكمالية لدلالتها التزاما عليه بسر استلزام ذاته تعالى لصفاته بخلاف سائر الاعلام لعدم الاستلزام ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ وجه النظم ان لفظ الجلال كما يتجلى منه الجلال بسلسلة كذلك يترا آ الجمال بسلسلته من الرحمن الرحيم اذ الجلال والجمال اصلان تسلسل منهما بتجليهما فى كل عالم فروع كالامر و النهى و الثواب و العذاب و الترغيب و الترهيب والتسبيح والتحميد والخوف والرجاء الى آخره * و ايضا كما ان لفظ الجلال اشارة الى الصفات العينية والتنزيهية. كذلك الرحيم ايماء الى الصفات الغيرية الفعلية و الرحمن رمز الى الصفات السبع التى هى لا عين و لا غير اذ الرحمن بمعنى الرزاق. و هو عبارة عن اعطاء البقاء و البقاء تكرر الوجود والوجود يستلزم صفة ممزة و صفة مخصصة و صفة مؤثرة و هى العلم والارادة والقدرة والبقاء الذى هو ثمرة اعطاء الرزق يقتضى عرفا ثبوت البصر والسمع و الكلام اذ لابد للرازق من البصر ليرى حاجة المرزوق ان لم يطلب ومن السمع ليستمع كلامه ان طلب و من الكلام ليتكلم مع الواسطة ان كانت وهذه الست تستلزم السابعة التى هى الحياة ﴿ ان قلت ﴾ تذييل الرحمن الدال على النعم العظيمة بالرحيم الدال على النعم الدقيقة يكون

[١] جواب لما

صنعة التدلى و البلاغة فى صنعة الترقى من الادنى الى الاعلا (قلت) تذييل للتتميم كالاهداب للعين واللجام للفرس وايضا لما توقفت العظيمة على الدقيقة كانت الدقيقة ارقى كالمفتاح للقفل واللسان للروح وايضا لما كان هذا المقام مقام التنبيه على مواقع النعم كان الاخفى اجدر بالتنبيه فيكون صنعة التدلى فى مقام الامتنان والتعداد صنعة الترقى فى مقام التنبيه (ان قلت) الرحمن والرحيم كامثالهما بمباديها محال فى حقه تعالى كرقة القلب وان اريد منها النهايات فما حكمة المجاز (قلت) هى حكمة المتشابهات وهى التنزلات الالهية الى عقول البشر لتأنيس الاذهان وتفهيمها كمن تكلم مع صبي بما يألفه ويأنس به فان الجمهور من الناس يجتنون معلوماتهم عن محسوساتهم ولا ينظرون الى الحقائق المحضة الا فى مرآة متخيلاتهم ومن جانب مألوفاتهم وايضا المقصود من الكلام افادة المعنى وهى لا تتم الا بالتأثير فى القلب والحس وهو لايحصل الا بالباس الحقيقة اسلوب مألوف المخاطب وبه يستعد القلب للقبول (الحمد) وجه النظم مع ماقبله ان الرحمن والرحيم لما دلتا على النعم استوجبتا تعقيب الحمد ثم ان الحمد لله قد كررت فى اربع سور من القرآن (١) كل واحدة منها ناظرة الى نعمة من النعم الاساسية التى هى النشأة الاولى والبقاء فيها والنشأة الاخرى والبقاء بعدها ثم وجه نظمه فى هذا المقام اى جعله فاتحة فاتحة القرآن هو انه كتصور العلة الغائية المقدم فى الذهن لان الحمد صورة اجمالية للعبادة التى هى نتيجة للخلقة والمعرفة التى هى حكمة وغاية للكائنات فكأن ذكره تصور للعلة الغائية * وقد قال عزوجل (ماخلقت الجن والانس الاليعبدون) ثم ان المشهور من معانى الحمد اظهار الصفات الكمالية وتحقيقه ان الله سبحانه خلق الانسان وجعله نسخة جامعة للكائنات وفهرسة لكتاب العالم المشتمل على ثمانية عشر الف عالم واودع فى جوهره انموذجا من كل عالم تجلى فيه اسم من اسمائه تعالى فاذا صرف الانسان كل ما انعم عليه الى ما خلق لاجله ايفاء للشكر العرفى الداخل تحت الحمد وامتثالا للشريعة التى هى جلاء لصدأ الطبيعة يصير كل انموذج مشكاة لعالمه ومرآة له وللصفة المتجلية فيه والاسم المتظاهر منه فيكون الانسان بروحه وجسمه خلاصة عالمى الغيب والشهادة ويتجلى فيه ماتجلى فيهما فبالحمد يصير الانسان مظهرا للصفات الكمالية الالهية يدل على هذا قول محى الدين العربى فى بيان حديث (كنت كنزا مخفيا فخلقت الخلق ليعرفونى) اى فخلقت الخلق ليكون مرآة اشاهد فيها جمالى (لله) اى الحمد مختص ومستحق للذات الاقدس المشخص الذى يلاحظ بمفهوم الواجب الوجود اذ قد يلاحظ المشخص بأمر عام وهذه اللام متعلقة بمعنى نفسها كانها تشربت معنى متعلقها وفى اللام اشارة الى الاخلاص والتوحيد (رب) اى الذى يربى العالم بجميع اجزائه التى كل منها كالعالم عالم وذراته كنجومه متفرقة متحركة بالانتظام * واعلم ان الله عز وجل عين لكل شئ نقطة كمال واودع فيه ميلا اليها كأنه امره امرا معنويا ان يتحرك به اليها وفى سفره يحتاج الى مايمده ودفع ما يعوقه وذلك بتربيته عز وجل لو تأملت فى الكائنات لرأيتها كبنى آدم طوائف وقبائل يشتغل كل منفرداً ومجتمعاً بوظيفته التى عينها له صانعه ساعيا مجداً مطيعا لقانون

(١) [من متعلقات الصحيفة الرابعة]

قال أبو اسحق الاسفرايني رحمه الله في سورة الانعام كل قواعد التوحيد ولما كانت نعمه تعالى مما تفوت الحصر الا أنها ترجع اجمالاً الى ايجاد وابقاء في النشأة الأولى وايجاد وابقاء في النشأة الآخرة وقد أشير في الفاتحة الى الجميع ابتدأت بالتحميد لأنها ديباجة نعمه المذكورة في كتابه المجيد ثم أشير في الانعام الى الايجاد الأول وفي الكهف الى الابقاء الاول وفي سبأ الى الايجاد الثاني وفي فاطر الى الابقاء الثاني فلهذا ابتدأت هذه السور الخمس بالتحميد. (حاشية شهاب على سورة الانعام ج ٤ ص ٢)

خالقه فما اعجب الانسان كيف يشذ ﴿ العالمين ﴾ الياء والنون اما علامة للاعراب فقط كعشرين وثلاثين اوللجمعية لان اجزاء العالم عوالم اوالعالم ليس منحصراً فى المنظومة الشمسية قال الشاعر

الحمد لله كم لله من فلك * تجرى النجوم به و الشمس والقمر.

و آثر جمع العقلاء مثل رأيتهم لى ساجدين اشارةً الى ان نظر البلاغة يصور كل جزء من اجزاء العالم بصورة حى عاقل متكلم بلسان الحال اذالعالم اسم مايعلم به الصانع و يشهد عليه و يشير اليه فالتربية والاعلام يوميان كالسجود الى انها كالعقلاء ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ وجه النظم انهما اشارتان الى اساسى التربية اذالرحمن لكونه بمعنى الرزاق يلائم جلب المنافع والرحيم لكونه بمعنى الغفار يناسب دفع المضار وهما الاساسان للتربية ﴿ مالك يوم الدين ﴾ اى يوم الحشر والجزاء وجه النظم انه كالنتيجة لسابقه اذالرحمة من ادلة القيامة والسعادة الابدية لان الرحمة انما تكون رحمةً والنعمة نعمةً اذا جائت القيامة وحصلت السعادة الابدية و الا فالعقل الذى هو من اعظم النعم يكون مصيبة على الانسان والمحبة والشفقة اللتان هما من اللطف انواع الرحمة تحولان المآ شديداً بملاحظة الفراق الابدى ﴿ ان قلت ﴾ ان الله تعالى مالك لكل شئ دائما فما وجه الاختصاص ﴿ قلت ﴾ للاشارة الى ان الاسباب الظاهرية التى وضعها الله تعالى فى عالم الكون والفساد لاظهار عظمته اى لئلا يرى فى ظاهر نظر العقل مباشرة بدالقدرة بالامور الخسيسة فى جهة ملك الاشياء ترتفع فى ذلك اليوم و تجلى ملكوتية كل شئ صافية شفافة بحيث يرى و يعرف كل شئ سيده وصانعه بلا واسطة وفى التعبير بلفظ اليوم اشارة الى امارة حدسية من امارات الحشر بناءً على التناسب البين بين اليوم والسنة و عمر البشر و دوران الدنيا كالكائن بين امثال الساعة العادة للثوانى والدقائق و الساعات والايام فكما ان من يرى ميلا اتم دوره يحدس فى نفسه ان من شأن الاخر ايضاً ان يتم دوره و ان كان بمهلة كذلك ان من يرى القيامة النوعية المكررة فى امثال اليوم والسنة يحدس بتولد ربيع السعادة الابدية فى صبح يوم الحشر للانسان الذى شخصه كنوع و المراد من الدين اما الجزاء اى يوم جزاء الاعمال الخيرية والشرية اوالحقائق الدينية اى يوم طلوعها و ظهورها و غلبة دائرة الاعتقاد على دائرة الاسباب لان الله عز وجل اودع بمشيته فى الكائنات نظاما يربط الاسباب بالمسببات و الجأ الانسان بطبيعته و وهمه وخياله الى ان يراعى ذلك النظام و يرتبط به وكذا و جه كل شئ اليه وتنزه عن تأثير الاسباب فى ملكه وكلف الانسان اعتقادا وايمانا بان يراعى تلك الدائرة بوجدانه و روحه و يرتبط بها ففى الدنيا دائرة الاسباب غالبة على دائرة الاعتقاد و فى الاخرى تجلى حقائق العقائد غالبة على دائرة الاسباب * و اعلم ان لكل من هاتين الدائرتين مقاما معينا و احكاما مخصوصة فلابد ان يعطى كل حقه فمن نظر فى مقام دائرة الاسباب بطبيعته و وهمه و خياله ومقاييس الاسباب الى دائرة الاعتقاد اضطر الى الاعتزال و من نظر فى مقام الاعتقاد و مقاييسه

بروحه ووجدانه الى دائرة الاسباب انتج له توكلا تنبليا و تمردا فى مقابلة المشيئة النظامة ﴿ اياك نعبد ﴾ فى الكاف نكتتان احديهما تضمن الخطاب بسر الالتفات للاوصاف الكمالية المذكورة اذ ذكرها شيأ شيأ يحرك الذهن و يعده ويملئه شوقا ويهزه للتوجه الى الموصوف * فاياك اى يا من هو موصوف بهذه الصفات * والاخرى ان الخطاب يشير الى وجوب ملاحظة المعانى فى مذهب البلاغة ليكون المقرؤ كالمنزل فينجر طبعا وذوقا الى الخطاب * فاياك يتضمن الامتثال باعبد ربك كأنك تراه * والتكلم مع الغير فى نعبد لوجوه ثلاثة اى نعبد نحن معاشر اعضاء وذرات هذا العالم الصغير ـ وهو انا ـ بالشكر العرفى الذى هو اطاعة كل لما امر به * ونحن معاشر الموحدين نعبدك باطاعة شريعتك * ونحن معاشر الكائنات نعبد شريعتك الكبرى الفطرية ونسجد بالحيرة والمحبة تحت عرش عظمتك وقدرتك * وجه النظم ان نعبد بيان وتفسير لالحمد ونتيجة ولازم لمالك يوم الدين * واعلم ان تقديم اياك الاخلاص الذى هو روح العبادة وان فى خطاب الكاف رمزا الى علة العبادة لان من اتصف بتلك الاوصاف الداعية الى الخطاب استحق العبادة ﴿ واياك نستعين ﴾ هذه كاياك نعبد باعتبار الجماعات الثلاث اى نحن معاشر الاعضاء ومعاشر الموحدين ومعاشر الكائنات نطلب منك التوفيق والاعانة على كل الحاجات والمقاصد التى اهمها عبادتك كرر اياك لتزييد لذة الخطاب والحضور ولان مقام العيان اعلى و اجل من مقام البرهان و لان الحضور ادعى الى الصدق و بان لا يكذب ولاستقلال كل من المقصدين * واعلم ان نظم نستعين مع نعبد كنظم الاجرة مع الخدمة لان العبادة حق الله على العبد والاعانة احسانه تعالى لعبده * وفى حصر اياك اشارة الى ان بهذه النسبة الشريفة التى هى العبادة و الخدمة له تعالى يترفع العبد عن التذلل للاسباب والوسائط بل تصير الوسائط خادمة له وهو لايعرف الا واحدا فيتجلى حكم دائرة الاعتقاد و الوجدان كما مر ومن لم يكن خادما له تعالى بحق يصير خادما للاسباب و متذللا للوسائط لكن يلزم على العبد وهو فى دائرة الاسباب ان لايهمل الاسباب بالمرة لئلا يكون متمردا فى مقابلة النظام المودع بحكمته و مشيئته تعالى لان التوكل فى تلك الدائرة عطالة كما مر وكنظم المقدمة مع المقصود لان الاعانة والتوفيق مقدمة العبادة ﴿ اهدنا ﴾ وجه النظم انه جواب العبد عن سؤاله تعالى كأنه يسئل أى مقاصدك اعلق بقلبك فيقول العبد اهدنا * واعلم ان اهدنا بسبب تعدد مراتب معانيه بناء على تنوع مفعوله الى الهادين والمستهدين والمستزيدين وغيرهم كأنه مشتق من المصادر الاربعة لفعل الهداية * فاهدنا باعتبار معشر ثبتنا وبالنظر الى جماعة زدنا وبالقياس الى طائفة وفقنا والى فرقة اعطنا و ايضا ان الله تعالى بحكم خلق كل شئ و هدى هدانا باعطاء الحواس الظاهرة والباطنة ثم هدانا بنصب الدلائل الآفاقية والانفسية ثم هدانا بارسال الرسل وانزال الكتب ثم هدانا اعظم الهداية بكشف الحجاب عن الحق فظهر الحق حقا والباطل باطلا اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه * ﴿ الصراط المستقيم ﴾ اعلم ان الصراط المستقيم هو العدل الذى هو ملخص الحكمة والعفة والشجاعة اللاتى هى

اوساط للمراتب الثلاث للقوى الثلاث * توضيحه: ان الله عز وجل لما اسكن الروح فى البدن المتحول المحتاج المعروض للمهالك اودع لادامتها فيه قوى ثلاثا * احديها القوة الشهوية البهيمية الجاذبة للمنافع * وثانيتها القوة الغضبية السبعية الدافعة للمضرات والمخربات . وثالثتها القوة العقلية الملكية المميزة بين النفع والضر لكنه تعالى بحكمته المقتضية لتكمل البشر بسر المسابقة لم يحدد بالفطرة تلك القوى كما حدد قوى سائر الحيوانات وان حددها بالشريعة لانها تنهى عن الافراط والتفريط وتأمر بالوَسَط يصدع عن هذا فاستقم كما امرت * وبعدم التحديد الفطرى يحصل مراتب ثلاث مرتبة النقصان وهى التفريط والزيادة وهى الافراط والوسط وهى العدل * فتفريط القوة العقلية البلاوة والبَلادة وافراطها الجربزة الخادعة والتدقيق فى سفاسف الامور ووسطها الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا * اعلم انه كما تنوع اصل هذه القوة الى تلك المراتب كذلك كل فرع من فروعها يتنوع الى هذه الثلاث * مثلا فى مسئلة خلق الافعال مذهب اهل السنة وسط الجبر والاعتزال وفى الاعتقاد مذهب التوحيد وسط التعطيل والتشبيه وعلى هذا القياس * وتفريط القوة الشهوية الخمودة وعدم الاشتياق الى شئ وافراطها الفجور بان يشتهى ماصادف حل اوحرم ووسطها العفة بان يرغب فى الحلال ويهرب عن الحرام وقس على الاصل كل فرع من فروعاته من الاكل والشرب واللبس وامثالها * وتفريط القوة الغضبية الجبانة اى الخوف مما لايخاف منه والتوهم وافراطها التهوّر الذى هو والاستبداد والتحكم والظلم ووسطها الشجاعة اى بذل الروح بعشق وشوق لحماية ناموس الاسلامية واعلاء كلمة التوحيد وقس عليها فروعها فالاطراف الستة ظلم والاوساط الثلاثة هى العدل الذى هو الصراط المستقيم اى العمل باستقم كما امرت ومن مر على هذا الصراط يمر على الصراط الممتد على النار ﴿ صراط الذين انعمت عليهم ﴾ اعلم ان نظم درر القرآن ليس بخيط واحد بل النظم فى كثير نقوش تحصل من نسج خطوط نسب متفاوتة قربا وبعدا ظهورا وخفاء لان اساس الاعجاز بعد الايجاز هذا النقش * مثلا صراط الذين انعمت عليهم يناسب * الحمد لله لان النعمة قرينة الحمد * ورب العالمين لان كمال التربية بترادف النعم * والرحمن الرحيم لان المنعم عليهم اعنى الانبياء والشهداء والصالحين رحمة للعالمين ومثال ظاهر للرحمة * و مالك يوم الدين لان الدين هو النعمة الكاملة * ونعبد لانهم الائمة * و نستعين لانهم الموفقون * و اهدنا لانهم الاسوة بسر فبهداهم اقتده * والصراط المستقيم لظهور انحصار الطريق المستقيم فى مسلكهم هذا مثال لك فقس عليه * وفى لفظ الصراط اشارة الى ان طريقهم مسلوكة محدودة الاطراف من سلكها لايخرج عنها * و فى لفظ الذين بناء على انه موصول ومن شأن الموصول ان يكون معهودا نصب العين للسامع اشارة الى علو شأنهم و تلألؤهم فى ظلمات البشر كأنهم معهودون نصب العين لكل سامع وان لم يحرولم يطلب . وفى جمعيته رمز الى امكان الاقتداء وحقانية مسلكهم بسر التواتر اذ يد الله مع الجماعة * وفى صيغة انعمت اشارة الى وسيلة طلب النعمة * وفى نسبتها شافع له كأنه يقول يا الهى

من شأنك الانعام وقد انعمت بفضلك فانعم علي وان لم استحق * وفي عليهم اشارة الى شدة اعباء الرسالة وحمل التكليف وايماء الى انهم كالجبال العالية تتلقى شدائد المطر لافاضة الصحارى * وما اجمل في الذين انعمت عليهم بفسره اولئك الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اذالقرآن يفسر بعضه بعضا (ان قلت) مسالك الانبياء متفاوتة وعباداتهم مختلفة (قيل لك) ان التبعية في اصول العقائد والاحكام لانها مستمرة ثابتة دون الفروعات التي من شأنها التغير بتبدل الزمان فكما ان الفصول الاربعة ومراتب عمر الانسان تؤثر في تفاوت الادوية والتلبس فكم من دواء في وقت يكون داء في آخر كذلك مراتب عمر نوع البشر تؤثر في اختلاف فروعات الاحكام التي هي دواء الارواح وغذاء القلوب (غير المغضوب عليهم) وجه النظم اعلم ان هذا المقام لكونه مقام الخوف والتخلية يناسب المقامات السابقة فينظر بنظر الحيرة والدهشة الى مقام توصيف الربوبية بالجلال والجمال وبنظر الالتجاء الى مقام العبودية في نعبد وبنظر العجز الى مقام التوكل في نستعين وبنظر التسلي الى رفيقه الدائمي اعني مقام الرجاء والتحلية اذ اول ما يتولد في قلب من يرى امرا هائلا حس الحيرة ثم ميل الفرار ثم التوكل عند العجز ثم التسلي بعد ذلك الامر (ان قلت) ان الله عزوجل حكيم غني فما الحكمة في خلق الشر والقبح والضلالة في العالم (قيل لك) اعلم ان الكمال والخير والحسن في الكائنات هي المقصودة بالذات وهي الكليات وان الشر والقبح والنقصان جزئيات بالنسبة قليلة تبعية مغمورة في الخلقة خلقها خالقها منتشرة بين الحسن والكمال لا لذاتها بل لتكون مقدمة وواحدا قياسيا لظهور بل لوجود الحقائق النسبية للخير والكمال (ان قلت) فما قيمة الحقائق النسبية حتى استحسن لاجلها الشر الجزئي (قيل لك) ان الحقائق النسبية هي الروابط بين الكائنات وهي الخطوط المنسوج منها نظامها وهي الاشعة المنعكس منها وجود واحد لانواعها وان الحقائق النسبية ازيد بالوف من الحقائق الحقيقية اذ الصفات الحقيقية لذات لو كانت سبعة كانت الحقائق النسبية سبعمائة فالشر القليل يغتفر بل يستحسن لاجل الخير الكثير لان في ترك الخير الكثير لان فيه شرا قليلا شرا كثيرا وفي نظر الحكمة اذا قابل الشر القليل شرا كثيرا صار الشر القليل حسنا بالغير كما تقرر في الاصول في الزكاة والجهاد وما اشتهر من ان الاشياء انما تعرف باضدادها معناه ان وجود الضد سبب لظهور ووجود الحقائق النسبية للشئ مثلا لو لم يوجد القبح ولم يتخلل بين الحسن لما تظاهر وجود الحسن بمراتبها الغير المتناهية (ان قلت) ما وجه تفاوت هذه الكلمات الثلاث فعلا واسم مفعول واسم فاعل في انعمت والمغضوب والضالين وايضا ما وجه التفاوت في ذكر صفة الفرقة الثالثة وعاقبة الصفة في الفرقة الثانية وعنوان صفة الفرقة الاولى باعتبار المآل (قيل لك) اختار عنوان النعمة لان النعمة لذة تميل النفس اليها وفعلا ماضيا للاشارة الى ان الكريم المطلق شأنه ان لا يسترد ما يعطي وايضا رمز الى وسيلة المطلوب باظهار عادة المنعم كأنه يقول لان من شأنك الانعام وقد انعمت

فانعم على * اما غير المغضوب فالمراد منه الذين تجاوزوا تجاوز القوة الغضبية فظلموا و فسقوا بترك الاحكام كتمرد اليهود ولما كان فى نفس الفسق والظلم لذة منحوسة و عزة خبيثة لا تنفر منه النفس ذكر القرآن عاقبته التى تنفر كل نفس و هى نزول غضبه تعالى و اختار الاسم الذى من شأنه الاستمرار اشارة الى ان العصيان والشر انما يكون سمة اذا لم ينقطع بالتوبة والعفو * اما ولا الضالين فالمراد منه الذين ضلوا عن الطريق بسبب غلبة الوهم والهواء على العقل والوجدان و وقعوا فى النفاق بالاعتقاد الباطل كسفسطة النصارى اختار القرآن نفس صفتهم لان نفس الضلالة « الم » ينفر النفس ويجتنب منه الروح وان لم ير النتيجة * و اسما لان الضلالة انما تكون ضلالة اذا لم تنقطع * و اعلم ان كل الالم فى الضلالة وكل اللذة فى الايمان * فان شئت تأمل فى حال شخص بينا اخرجته يد القدرة من ظلمات العدم والقته فى الدنيا تلك الصحراء الهائلة اذ يفتح عينه مستطلعا * فيرى البليات والعلل كالاعداء تتهاجم عليه * فينظر مسترحما الى العناصر والطبائع فيريها غليظة القلب بلا رحمة قد كشرت عليه الاسنان * فيرفع رأسه مستمدا الى الاجرام العلوية فيريها مهيبة و مدهشة تهدده كأنها مراس نارية من افواه هائلة تمر حَوَالَيْهِ * فيتحير و يخفض رأسه متسترا ويطالع نفسه * فيسمع الوف صيحات حاجاته وانين فاقاته * فيتوحش فينظر الى وجدانه ملتجأ * فيرى فيه الوفا من آمال متهيجة ممتدة لاتشبعها الدنيا * فبالله عليك كيف حال هذا الشخص ان لم يعتقد بالمبدأ والمعاد والصانع والحشر أتظن جهنم اشد عليه من حاله و احرق لروحه فان له حالة تركبت من الخوف والهيبة والعجز والرعشة والقلق والوحشة واليتم واليأس لانه اذا راجع قدرته يريها عاجزة ضعيفة * واذا توجه الى تسكين حاجاته يريها لاتسكت * واذا صاح واستغاث لايسمع ولايغاث فيظن كل كل شئ عدواً ويتخيل كل شئ غريبا فلا يستأنس بشئ ولاينظر الى دوران الاجرام الا بنظر الخوف والدهشة والتوحش المزعجة للوجدان * ثم تأمل فى حال ذلك الشخص اذا كان على الصراط المستقيم و استضاء وجدانه و روحه بنور الايمان كيف ترى انه اذا وضع قدمه فى الدنيا وفتح عينيه فرأى تهاجم العاديات الخارجية * يرى اذا ـ نقطة استناد ـ يستند اليها فى مقابلة تلك العاديات و هى معرفة الصانع فيستريح * ثم اذا فتش عن استعداداته وآماله الممتدة الى الابد يرى ـ نقطة استمداد ـ يستمد منها آماله و تتشهب منها ماء الحياة وهى معرفة السعادة الابدية *. واذا يرفع رأسه وينظر فى الكائنات يستأنس بكل شئ ويجتنى عيناه من كل زهرة انسية وتجيا و يرى فى حركات الاجرام حكمة خالقها و يتنزه بسيرها و ينظر نظر العبرة والتفكر كأن الشمس تناديه ايها الاخ لاتتوحش منى فمرحبا بقدومك نحن كلانا خادمان لذات واحد مطيعان لامره والقمر والنجوم والبحر و اخواتها يناجيه كل منها بلسانها الخاص وترمز اليه باهلا وسهلا اما تعرفنا كلنا مشغولون بخدمة مالكك فلا تضجر ولا تتوحش ولا تخف من تهديد البلايا بنعراتها فان لجام كل بيد خالقك * فذلك الشخص فى الحالة الاولى يحس فى اعماق وجدانه الما شديدا فيضطر للتخلص منه و تهوينه و ابطال حسه بالتسلى

بالتغافل بالاشتغال بسفاسف الامور ليخادع وجدانه وينام روحه والا احس بالم عميق يحرق اعماق وجدانه فبنسبة البعد عن الطريق الحق يتظاهر تأثير ذلك الالم * واما فى الحالة الثانية فهو يحس فى قعر روحه لذة عالية وسعادة عاجلة كلما ايقظ قلبه وحرك وجدانه واحسّ روحه ستذاد سعادة واستبشر بفتح ابواب جنات روحانية له اللهم بحرمة هذه السورة اجعلنا من اهل الصراط المستقيم

استزاد

السورة الاولى من الزهراوين — اى المنيرتين

بسم الله الرحمن الرحيم

٣١

(ان قلت) ان فى القرآن الموجز المعجز اشياء مكررة تكراراً كثيرا فى الظاهر كالبسملة وفبأى آلاء الخ وويل يومئذ الخ وقصة موسى وامثالها مع ان التكرار يملّ وينافى البلاغة (قيل لك) «ما كل ما يتلألأ يحرق» فان التكرار قد يمل لا مطلقا بل قد يستحسن وقد يُسْأَم * فكما ان فى غذاء الانسان ما هو قوت كلما تكرر حلا وكان آنس * وما هو تفكه ان تكرر مل وان تجدد استلذّ * كذلك فى الكلام ما هو حقيقة وقوت وقوّة للافكار وغذاء للارواح كلما استعيد استحسن واستأنسّ بمألوفه كضياء الشمس * وفيه ما هو من قبيل الزينة والتفكه لذته فى تجدد صورته وتلوّن لباسه * اذا عرفت هذا فاعلم انه كما ان القرآن بمجموعه قوت وقوّة للقلوب لا يملّ على التكرار بل يستحلى على الاكثار منه كذلك فى القرآن ما هو روح لذلك القوت كلما تكرر تلألأ وفارت اشعة الحق والحقيقة من اطرافه وفى ذلك البعض ما هو آسّ الأساس والعقدة الحياتية والنور المتجسد بجسد سرمدى كبسم الله الرحمن الرحيم فيا هذا شاور مذاقك ان كنت ذا مذاق هذا بناء على تسليم التكرار والا فيجوز ان تكون قصة موسى مثلا مذكورة فى كل مقام لوجه مناسب من الوجوه المشتملة هى عليها فان قصة موسى اجدى من تفاريق العصا اخذها القرآن بيده البيضاء فضة فصاغها ذهبا فخرت سحرة البيان ساجدين لبلاغته وكذا فى البسملة جهات من الاستعانة والتبرك والموضوعية بل الغائية والفهرستية للنقط الاساسية فى القرآن * وايضا فيها مقامات كمقام التوحيد ومقام التنزيه ومقام الثناء ومقام الجلال والجمال ومقام الاحسان وغيرها * وايضا فيها احكام ضمنية كالاشارة الى التوحيد والنبوة والحشر والعدل اعنى المقاصد الاربعة المشهورة مع ان فى اكثر السور يكون المقصود بالذات واحدا منها والباقى استطراديا فلم لا يجوز ان يكون لجهة او حكم او مقام منها مناسبة مخصوصة لروح السورة وتكون موضوعا للمقام بل فهرسة اجمالية باعتبار تلك الجهات والمقامات (الم) * اعلم ان ههنا مباحث اربعة (المبحث الاول) ان الاعجاز قد تنفس من افق الم لان الاعجاز نور يتجلى من امتزاج لمعات لطائف البلاغة وفى هذا المبحث لطائف كل منها وان دق لكن الكل فجر صادق * منها ان الم مع سائر اخواتها فى اوائل السور (٢) تنصف كل الحروف الهجائية التى هى عناصر كل الكلمات فتأمل * ومنها

[من متعلقات الصحيفة الحادية عشرة]

(١)

أنواع طبايع الحروف : مهموسة : فحثه شخص سكت .

ضدها مجهورة . نصفها المذكور في المقطعات : (لن يقطع امرؤ

شديدة : أجد قط بكت . رخوة نصفها المذكور في المقطعات :

(حمس على نصره) .

مستعلية : خص ضغط قظ . منخفضة . مطبقة : ص ض ط ظ

ضدها منفتحة مذلقة : فر من لب مصمتة .

قلقلة : قطب جد

وعند صاحب الكشاف الظاء أيضا ذولقية .

السور التي ذكرت في أوائلها الحروف المقطعة		الحروف التي ذكرت في أوائل السور القرآنية هي هذه	الحروف الهجائية الثمانية والعشرون
بقرة (الم)	عنكبوت (الم)	ا	ا ب
آل عمران (الم)	روم (الم)	ل	ت ث
أعراف (المص)	لقمان (الم)	م	ج ح
يونس (الر)	سجدة (الم)	ص	خ د
هود (الر)	يس (يس)	ر	ذ ر
يوسف (الر)	ص (ص)	ك	ز س
رعد (المر)	مؤمن (حم)	ه	ش ص
ابراهيم (الر)	فصلت (حم)	ى	ض ط
حجر (الر)	شورى (حم عسق)	ع	ظ ع
مريم (كهيعص)	زخرف (حم)	ط	غ ف
طه (طه)	دخان (حم)	س	ق ك
شعراء (طسم)	جاثية (حم)	ح	ل م
نمل (طس)	احقاف (حم)	ق	ن ه
قصص (طسم)	ق (ق)	ن	و ى
	قلم (ن)		

٢٨
٢٨
×
٢٢٤
٥٦
+
٧٨٤

ان النصف المأخوذ اكثر استعمالا من المتروك * ومنها ان القران كرر من المأخوذ ما هو معدّ على الالسنة كالالف واللام * ومنها انه ذكر المقطعات فى رأس تسع وعشرين سورة عدة الحروف الهجائية * ومنها ان النصف المأخوذ ينصف كل ازواج اجناس طبائع الحروف من المهموسة والمجهورة والشديدة والرخوة والمستعلية والمنخفضة والمنفتحة وغيرها * واما الاوتار فمن الثقيل القليل كالقلقلة ومن الخفيف الكثير كالذلاقة * ومنها ان النصف المأخوذ من طبائعها الطف سجية * ومنها ان القرآن اختار طريقا فى المقطعات من بين اربعة وخمسمائة احتمال لا يمكن تنصيف طبائع الحروف الا بتلك الطريق لان التقسيمات الكثيرة متداخلة ومشتبكة ومتفاوتة ففى تنصيف كل غرابة عجيبة فمن لم يجتن نور الاعجاز من مزج تلك اللمعات فلا يلومن الا ذوقه ﴿ المبحث الثانى ﴾ اعلم ان الم كقرع العصا يوقظ السامع ويهزّ عطفه بانه بغرابته طليعة غريب وعجيب وفى هذا المبحث ايضا لطائف * منها ان التهجى وتقطيع الحروف فى الاسم اشارة الى جنس ما يتولد منه المسمى * ومنها ان التقطيع اشارة الى ان المسمى واحد اعتبارى لا مركب مزجى * ومنها ان التهجى بالتقطيع تلميح الى ارائة مادة الصنعة كالقاء القلم والقرطاس لمن يعارضك فى الكتابة كأن القرآن يقول ايها المعاندون المدّعون انكم امراء الكلام إهذه المادة التى بين ايديكم هى التى أصنع فيها ما أصنع * ومنها ان التقطيع المرمز الى الاهمال عن المعنى يشير الى قطع حجتهم بانا لا نعرف الحقائق والقصص والاحكام حتى نقابلك فكأن القرآن يقول لا اطلب منكم الا نظم البلاغة فجيؤا به ولو مفتريات * ومنها ان التعبير عن الحروف باسمائها من رسوم اهل القرائة والكتابة ومن يسمعون منه الكلام امّىّ مع محيطه فنظرا الى السجية مع ان اول ما يتلقاهم خلاف المنتظر يرمز الى ان هذا الكلام لا يتولد منه بل يلقى اليه * ومنها ان التهجى اساس القرائة ومبدأها فيومئ الى ان القرآن مؤسس لطريق خاص ومعلم لامين ومن لم ير نقشا عاليا من انتساج هذه الخيوط وان دق البعض فهو دخيل فى صنعة البلاغة فليقلّد فتاوى اهلها ﴿ المبحث الثالث ﴾ ان الم اشارة الى نهاية الايجاز الذى هو ثانى اساسى الاعجاز وفيه لطائف * منها ان الم يرمز ويشير ويومئ ويلوّح ويلمّح بالقياس التمثيلى المتسلسل الى ان هذا كلام الله الازلى نزل به جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام لانه كما ان الاحكام المفصلة فى مجموع القرآن قد ترتسم فى سورة طويلة اجمالا * وقد تمثل سورة طويلة فى قصيرة اشارة * وقد تندرج سورة قصيرة فى آية رمزا * وقد تندمج آية فى كلام واحد تلويحا وقد يتداخل كلام فى كلمة تليحا * وقد تتراآ تلك الكلمة الجامعة فى حروف مقطعة كسين لام ميم كالقرآن فى البقرة والبقرة فى الفاتحة والفاتحة فى بسم الله الرحمن الرحيم وبسم الله الرحمن الرحيم فى البسملة المنحوتة كذلك يجوز ذلك فى الم ايضا فبالاستناد الى هذا القياس التمثيلى المتسلل وباشارة اشارة ذلك الكتاب يتجلى من « الم » هذا كلام الله الازلى نزل به جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام * ومنها ان الحروف المقطعة كالشفرة الالهية ابرقها الى رسوله الذى عنده مفتاحها ولم يتطاول يد فكر البشر اليه بعد * ومنها ان الم اشارة الى شدة ذكاوة

المنزل عليه رمزا الى ان الرمز له كالتصريح * ومنها ان التقطيع اشارة الى ان قيمة الحروف ليست فى معانيها فقط بل بينها مناسبات فطرية كمناسبة الاعداد كشفها علم اسرار الحروف * ومنها ان الم خاصة اشارة بالتقطيع الى المخارج الثلاثة من الحلق والوسط والشفة وترمز تلك الاشارة الى اجبار الذهن للدقة وشق حجاب الالفة ليلجأ الى مطالعة عجائب الوان نقش خلقة الحروف فيامن صبغ يده بصنعة البلاغة ركّب قطعاتٍ هذه اللطائف وانظرها واحدة واستمع لتقرأ عليك هذا كلام الله ﴿ المبحث الرابع ﴾ ان الم مع اخواتها لما برزت بتلك الصورة كانت كأنها تنادى نحن الأئمة لانقلد احدا وما اتبعنا اماما واسلوبنا بديع وطرزنا غريب * وفيه لطائف * منها أن من ديدن الخطباء والفصحاء التأسيَ بمثال * والنسجَ على منوال والتمشيَ فى طريق مسلوكة مع انها لم يطمثهن قبله انس ولا جان * ومنها ان القرآن بفواتحه ومقاطعه بقى بعدُ كما كان قبلُ لم يماثل ولم يقلّد مع تآخذ اسباب التقليد * والتأسى من شوق الأوّداء وتحدى الاعداء * ان شئت شاهدا فهذه ملايين من الكتب العربية هل ترى واحدا منها يوازيه او يقع قريبا منه كلا بل الجاهل العامىّ ايضا اذا قاسها معه وقابله بها ناداه نظره بان هذا ليس فى مرتبتها فاما هو تحت الكل وهو محال بالضرورة واما هو فوق الكل وهو المطلوب فهو نصيبه من درك الاعجاز * ومنها ان من شأن صنعة البشر انها تظهر اول ما تظهر خشنة ناقصة من وجوه يابسة من الطَلاوة ثم تتكمل وتحلو مع ان اسلوب القرآن لما ظهر ظهر بطلاوة وطراوة وشبابية. وتحدى مع الافكار المعمرين بتلاحق الافكار وسرقة البعض عن البعض وغلبهم فاعلن بالغلبة انه من صنع خالق القوى والقُدَر فيامن استنشق نسيم البلاغة أفلا يجتنى نحل ذهنك عن ازهار تلك المباحث الاربعة شهد اشهد ان هذا كلام الله ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ مقدمة اعلم ان من اساس البلاغة الذى به يَبْرُق حسن الكلام تجاوبَ الهيآت وتداعىَ القيود وتآخذها على المقصد الاصلى وامدادَ كل بقدر الطاقة للمقصد الذى هو كمجمع الاودية اوالحوض المتشرب من الجوانب بان تكون مصداقا وتمثالا لما قيل

عباراتنا شتى وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير

مثلا تأمل فى آية (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك) المسوقة للتهويل المستفاد من التقليل بسر انعكاس الضد من الضد أفلا ترى التشكيك * فى « ان » كيف يمد التقليل * والمس بدل الاصابة فى مست كيف يشير الى القلة * والتروح فقط * والمرّية * والتحقير فى جوهي وصيغة وتنوين نفحة كيف تلوح بالقلة * والبعضية فى من كيف تومئ اليها * وتبديل النكال بالعذاب كيف يرمز اليها * والشفقة المستفادة من الرب كيف تشير اليها وقس فكل يمد المقصد بحصته الخاصة وقس على هذه الآية اخواتها * وبالخاصة (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) لان هذه الآية ذكرت لمدح القرآن واثبات الكمال له ولقد تجاوب وتآخذ على هذا المقصد * القسم بالم على وجه * وتوجيه اثباته بلاريب فيه * واشارة ذلك * ومحسوسيته * وبعديته * والالف واللام فى الكتاب * ولا ريب فيه فكل كما يمد المقصد ويلقى اليه حصته يرمز ويشفت